



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

Anisl 42 (2008), p. 1-24

Muḥammad Naṣr 'Abd Al-Raḥmān

الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بني تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ / ١٣٢١-١٤١٤ م). *iqtiṣādiyya-al ḥayāt-Al fī-l-Hind fī 'aṣr Banī Taḡlaq* (721-816 H/1321-1414 m)

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724707502	<i>Samut Nord</i>	Bérangère Redon (éd.), Thomas Faucher (éd.)
9782724707427	<i>L'occupation humaine dans le delta</i>	Yann Tristant
9782724707434	<i>Regressus ad uterum</i>	Marie-Lys Arnette
9782724707557	<i>Soufisme et Hadith dans l'Égypte ottomane</i>	Tayeb Chouïref
9782724707632	<i>Archéologie française en Égypte</i>	Laurent Coulon (éd.), Mélanie Cressent (éd.)
9782724707625	<i>BCE 29</i>	Sylvie Marchand (éd.)
9782724707649	<i>BIFAO 119</i>	
9782724707243	<i>Les textes de la pyramide de Mérenrê</i>	Isabelle Pierre-Croisiau

محمد نصر عبد الرحمن

الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بني تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ / ١٣٢١-١٤١٤ م)

يعد عصر سلاطين دلهي (٦٠٢-٩٣٢ هـ / ١٢١٠-١٥٢٦ م) بوجه عام^١، وعصر بني تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ / ١٣٢١-١٤١٤ م) بوجه خاص من أهم وأخصب فترات تاريخ الهند خلال العصور الوسطى. فخلال تلك الفترة شهدت الهند تطورات عديدة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ تلك التطورات التي شكلت منعطفًا بارزاً في تاريخ الهند خلال تلك الحقبة. ومن نافلة القول أن هذه الأهمية دفعت العديد من الباحثين إلى إفراد العديد من الدراسات المستقلة عن بني تغلق، لكن جُل هذه الدراسات وجهت اهتمامها الأساسي نحو دراسة التاريخ السياسي لهذه الحقبة^٢، بينما اتجهت دراسات قليلة نحو الحياة الاجتماعية والثقافية^٣. أما الأوضاع الاقتصادية لتلك الحقبة فلم يكن لها عند الدارسين نصيب كبير، برغم أهميتها في استكمال الصورة التاريخية لهذه الحقبة. ولهذا اتجه الباحث إلى دراسة الحياة الاقتصادية في عصر بني تغلق لاستكمال هذه الصورة وبيان التأثير المتبادل بين الأوضاع الاقتصادية والأوضاع السياسية والاجتماعية، وتعود الدراسة على رصد النشاط الاقتصادي متمثلاً في أشكال ملكية الأرض وطبيعة الإنتاج الزراعي، وعناصر الإنتاج الصناعي، ثم التجارة بشقيها الداخلي والخارجي، إلى جانب النظام المالي.

ولعل من المفيد في البداية أن نعطي لمحة مختصرة عن التاريخ السياسي لأسرة بني تغلق حتى تكون الصورة واضحة المعالم. كانت بداية حكم آل تغلق للهند عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢١ م حين ارتقى عرش دلهي غياث الدين تغلق

Dynasty of Delhi», p. 365-372; Basu, «The House of Tughlaq», p. 1-33; Mahdi, *Tughluq Dynasty*.

٣. انظر على سبيل المثال: محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق؛

Hussain, *The Social Life and Institutions*, p. 297-305;

Jauhri, «Learning and Literature», p. 241-246.

١. للمزيد من التفاصيل عن عصر سلاطين دلهي انظر:

Majumdar, *The Delhi Sultanate*; Jackson, *The Delhi Sultanate, A Political and Military History*; Syed, *History of the Delhi Sultanate*.

٢. انظر على سبيل المثال:

Haig, «Five Questions in the History of the Tughluq

(٧٢٠-٧٢٥هـ / ١٣٢٠-١٣٢٥م). وكان غياث الدين جندياً بسيطاً لدى أحد سلاطين أسرة الخلجيين^٤ ويدعى علاء الدين الخلجي واستطاع أن يرتقى لمرتبة القيادة بعد جهوده في قتال المغول على حدود الهند الغربية وما حققه من انتصارات في هذا الميدان. وكانت الأمور قد اضطربت في الهند في نهاية عصر هذه الأسرة بعد مقتل آخر سلاطينها قطب الدين مبارك شاه على يد قائده نصير الدين خسرو عام ٧٢٠هـ / ١٣٢١م، واعتلاء هذا الأخير لعرش السلطنة. وكان خسرو من أصل هندوكي فحاول إحياء التقاليد الهندوكية وأبدى استهتاره بالإسلام ومشاعر المسلمين.

وقد أثار ذلك مشاعر المسلمين في السلطنة فاستنجدوا بالقائد غياث الدين الذي سرعان ما لبى نداءهم وتحرك صوب العاصمة دهلي بعد أن انضم إليه بعض الأمراء المسلمين ونجح في أن يلحق الهزيمة بخسرو. وبعد موت الأخير صارت الفرصة سانحة أمام تغلق لكي يعتلي عرش سلطنة دهلي إذ لم يكن هناك وريث للعرش من أسرة الخلجيين، وبالفعل اهتبل تغلق الفرصة وتولى عرش السلطنة، وبذلك بدأ حكم أسرة آل تغلق. وقد حكم غياث الدين قرابة خمس سنوات قبل أن يخلفه في الحكم ابنه محمد^٥.

وخلال عهد محمد بن تغلق^٦ (٧٢٥-٧٥٢هـ / ١٣٢٥-١٣٥١م) وصلت سلطنة دهلي لأقصى اتساع لها، فقد ضم ٢٣ إقليم من أكبر وأغنى أقاليم الهند^٧. وبوصف أحد المؤرخين المعاصرين^٨ له فإن سلطانه اتسع ليشمل عدداً كبيراً من المقاطعات لم تتوافر لأي سلطان من قبله في تاريخ الهند.

وفي سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) توفي محمد تغلق أثناء إحدى حملاته على بلاد السند ولم يكن له ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز تغلق وبعد جلوس فيروز شاه^٩ على عرش دهلي خرج محاولاً استعادة بعض الأقاليم التي استقلت عن السلطنة وكاد يستولى على إمارة البنغال بعد أن حاصرها كثيراً ثم تركها، وفي سنة (٧٦٠هـ / ١٣٥٩م) خرج فيروز شاه ثانية لاسترداد البنغال وحاصرها من جديد ولكن أمير البنغال أرسل إليه بالهدايا الكثيرة مشفوعة بتوسلاته التي رق لها قلب السلطان فرجع عنها للمرة الثانية. ويقول المؤرخون إن فيروز شاه كان له اتجاه خاص نحو المشاريع العمرانية، أنشأ مدينة جديدة قرب دهلي سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) وسماها فيروز آباد.

وفي سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) توفي فيروز شاه وكان قد عهد بالملك إلى حفيده غياث الدين ابن فتح خان ولكنه انصرف عن شؤون الدولة إلى متعه وملاهيته، وعامل الأمراء وكبراء الدولة معاملة سيئة فثاروا عليه وقتلوه، ووقع بعد

٤. الخلجيين (٦٨٩-٧٢١هـ / ١٢٩٠-١٣٢١م): ينتسب هؤلاء إلى موطنهم الأصلي في منطقة خلع بالقرب من غزنة، وكانت بداية ظهورهم في عصر الدولة الغورية، ثم استطاع زعيمهم جلال الدين

فيروز شاه اعتلاء عرش سلطنة دهلي عام ٦٨٩هـ / ١٣٩٠م. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة وهذه الأحداث انظر: فرشته، تاريخ فرشته، ص ٨٨ وما بعدها؛ الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ١، ص ١٣٢-١٤٨؛

٦. عن فترة حكم محمد بن تغلق انظر:

Prasad, « The Rise and Growth of Khilji Imperialism », p. 147-178; Lal, *History of the Khaljis, A.D. 1290-1320.*

Chaghatai, « Muhamed bin Tughluq Shah », p. 58-61;

Mahdi, *The Rise and Fall of Muhamed ibn Tughluq;* Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 252.

٥. عن فترة حكم غياث الدين انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٣٦-٤٤١؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص ٤٢٣-٤٥٢؛

٧. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٣، ص ٣٨.

٨. برني، تاريخ فيروز شاهي، ص ٤٦٨.

٩. عن فترة حكم فيروز شاه انظر:

Basu, « Firuz Shah Tughluq as a Ruler », p. 386-393;

Banerjee, *History of Fairuz Shah Tughluq.*

Banerji, « Ghiyasuddin Tughluq Shah », p. 45-54;

ذلك خلاف وصراع على الحكم بين محمد تغلق الثانى وابن عمه أبى بكر. وانتهى الصراع فى سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) بجلوس محمد تغلق الثانى على العرش، وبعد جلوسه بدأ يطارد ابن عمه أبى بكر والأمراء الآخرين الثائرين عليه^{١٠}. لكن محمد تغلق الثانى لم يعمر كثيراً فى الحكم إذ سرعان ما قضى نحبه عام (٧٩٥هـ-١٣٩٢م) وارتقى العرش من بعده ابنه مايون شاه ولكنه توفى بعد أيام قليلة فخلفه أخوه ناصر الدين محمود تغلق. وخلال عهد الأخير تنافس أمراء ورجال الدولة فيما بينهم على السلطة ومظاهر النفوذ وأدى ذلك إلى استقلال الكثير من الإمارات والحصون عن الدولة. ثم سرعان ما قدر لهذه الدولة أن تشهد نهايتها على يد المغول وإن لم يتم الأمر سريعاً ففى سنة (٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) زحف حفيد زعيم المغول تيمورلنك على الهند وتمكن من هزيمة السلطان ناصر الدين محمود تغلق. لكن الأخير واصل التصدى للمغول فى أنحاء السلطنة طيلة عقد ونصف تقريباً، ولكن ما إن وافته المنية عام ٨١٤هـ / ١٤١٢م حتى أصبحت السلطنة على وشك السقوط لعدم وجود وريث قوى يمكنه تكملة مسيرة التصدى للمغول، وسرعان ما استولى هؤلاء على سلطنة دلهي وبذلك سقطت دولة آل تغلق فى الهند وبدأ العصر المغولى عام ٨١٦هـ / ١٤١٤م^{١١}.

أما عن الحياة الاقتصادية - وهى موضوع بحثنا - فسنتناولها فيما يلى.

الزراعة والإنتاج الزراعى

لاشك أن الزراعة، خاصة فى مجتمعات العصور الوسطى، كانت تعد عصب الحياة الاقتصادية؛ باعتبارها من أقدم الأنشطة التى مارسها الإنسان لتوفير أبسط احتياجاته اليومية. وتحليل مظاهر النشاط الزراعى فى الهند خلال فترة بنى تغلق، تدفعنا لدراسة طرفى العملية الزراعية؛ وهما الإنسان والأرض والعلاقة بينهما سواء فى وضعية الأرض وأشكال الملكية، وعلاقات الإنتاج. أو فى طبيعة الإنتاج الزراعى والعوامل التى أثرت فيه.

أشكال ملكية الأرض

تعددت أشكال ملكية الأرض فى الهند خلال عصر بنى تغلق؛ فقد كانت هناك بعض الأراضى الخراجية لكنها كانت محدودة^{١٢}. أما غالبية الأراضى فكانت خاضعة للنظام الإقطاعى، وكان الإقطاع العسكرى هو النمط السائد من الإقطاع فى عصر سلاطين دلهي بوجه عام^{١٣}، وعصر بنى تغلق بوجه خاص. يدل على ذلك أن أكثر الاقطاعات كانت للحكام وكبار قادة العسكر (أرباب السيوف) فى السلطنة^{١٤}. ولم يختص بنو تغلق وحدهم بتطبيق هذا النظام فيما يخص وضعية

١٠. عصام عبد الرؤوف، بلاد الهند فى العصر الإسلامى، ص ٢١٣.

١٣. محمود إساعيل، سوسولوجيا الفكر الإسلامى، ج ٣، ص ٤٤.

١٤. العمرى، مسالك الأبصار، ص ٤٤.

١٠. للمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة انظر:

Banerjee, « A Note on the Succession of Firuz Shah »,

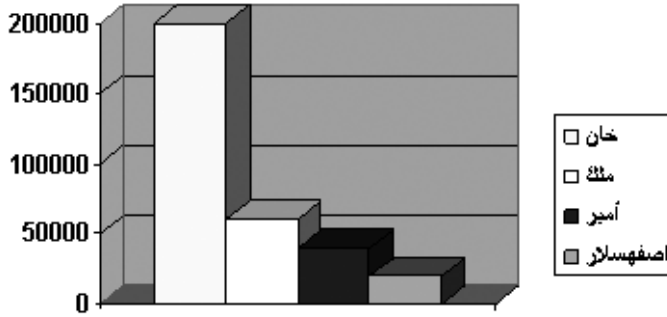
p. 47-52.

١١. الساداتى، تاريخ المسلمين فى الهند، ص ١٦٩ - ١٨٠.

الأرض في العالم الإسلامي، بل كان هذا النظام هو السائد في معظم مناطق العالم الإسلامي خاصة في دولة المماليك في مصر والشام والحجاز^{١٥}.

وبرغم ذلك فقد اختلف نظام الإقطاع في الهند في عهد بنى تغلق عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي، فهناك بعض الاختلافات الأساسية بين النظامين، والتي أشار إليها كلا من العمري والقلقشندي^{١٦} صراحة حين ذكرا أن النظام كان مختلفا في الهند عنه في مصر والشام، هذا الاختلاف فيما يخص تابعي السيد الاقطاعي، ففي النظام المملوكي يقوم الإقطاعيون بمنح جنودهم اقطاعات من الأرض لكي يتعيشوا منها نظير ارتباطهم بسيدهم الاقطاعي وتقديم الخدمات له. أما في الهند فإن تابعي السيد الاقطاعي من الجنند لم يكن يحصلون من السيد الاقطاعي على أى مقابل، بل كانوا يحصلون في مقابل ولائهم لسيدهم على رواتب من السلطان مباشرة، وكان راتب الجندي يتراوح ما بين (١٠٠٠- ١٠٠٠٠ تنكة^{١٧}) حسب رتبته^{١٨}.

وقد اتخذ هذا النظام خلال عهد محمد بن تغلق الشكل الهرمي فكان على قمته الخانات، يليهم المملوك، ثم الأمراء، ثم الاصفهسلارية^{١٩}. وكان لكل خان إقطاع من الأرض ريعه السنوي (٢٠٠ ألف تنكة)، ولكل ملك ما بين (٥٠-٦٠ ألف تنكة) والأمير ما بين (٣٠-٤٠ ألف تنكة)، والاصفهسلار^{٢٠} (٢٠ ألف تنكة). وكان للخان من الأتباع ١٠ آلاف فارس، والملك ١٠٠٠ فارس، والأمير ١٠٠ فارس، والاصفهسلار أقل من ذلك^{٢١}.



شكل ١. رسم تخطيطي يوضح نسب ريع الاقطاع مقدراً بالتلكة.

١٥. عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي انظر: إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، ص ٥٩ وما بعدها؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط، ص ٣٦٩-٤٢٥.
 ١٦. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٣٢.
 ١٧. العمري، مسالك الأبصار، ص ٩٤.
 ١٨. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٤.

١٩. عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي انظر: إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، ص ٥٩ وما بعدها؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط، ص ٣٦٩-٤٢٥.
 ٢٠. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٣٢.
 ٢١. العمري، مسالك الأبصار، ص ٩٢.
 ٢٢. التلكة إحدى العملات الهندية وللمزيد عنها انظر النظام المالي في هذه الدراسة.

وإلى جانب الإقطاع العسكري؛ منح السلاطين كبار الموظفين والفقهاء (أرباب الأقلام) إقطاعات بدلاً من الرواتب^{٢٢}. وكان على رأسهم نائب السلطان ويسمى (امريت)، وكان له إقطاع ضخم في حجم إقليم كبير مثل العراق، يليه الوزير وله إقطاع كبير لإقليم بحجم العراق أيضاً. وكان للوزير أربعة نواب يسمى كل واحد منهم (شق) وله إقطاع ريعه ما بين (٢٠ - ٤٠ ألف تنكة). هذا بجانب كتاب سر أربعة (يسمى الواحد فيهم ديران) لكل واحد مدينة كبيرة، وكان كبار الكتاب يصل إقطاع الواحد منهم إلى ٥٠ قرية، أما الصغار فإقطاعاتهم صغيرة ريعها في حدود (١٠ آلاف تنكة)^{٢٣}. وكان صاحب وظيفة أمير داد (مهمته الجلوس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه) فكان إقطاعه في حدود (٥٠ ألف تنكة)، ومحاسب الدواوين (٤٠ ألف تنكة)، صاحب وظيفة رسول دار (حاجب الإرسال) في حدود (٢٤ ألف تنكة)^{٢٤}.

أما رجال الدين من الفقهاء والقضاة فكان لهم أيضاً نصيب من الإقطاعات فقد كان لقاضي القضاة الملقب بصدرجهان إقطاع ريعه (٦٠ ألف تنكة) وشيخ الشيوخ مثله^{٢٥}، والقاضي (١٢ ألف تنكة)^{٢٦}، والمحاسب إقطاع ريعه (٨ آلاف تنكة)^{٢٧}. كما كانت هناك إقطاعات لبعض الوظائف الخاصة مثل شحنة الفيل الذي كان إقطاعه إقليم كبير مثل العراق، ومرجع هذا لأهمية الفيلة للسلطان الذي كان الوحيد الذي يقتنيها وكان له ٣٠٠٠٠ فيل^{٢٨}.

هذا بجانب الهبات الإقطاعية الذي كان السلطان يمنحها لندمائيه من رجال الحاشية وكان يتراوح ريعها ما بين (٢٠-٤٠ ألف تنكة) على حسب علاقتهم ومدى قربهم من السلطان^{٢٩}. وكان أحيانا يمتد الإقطاع ليشمل مدينة كاملة، كما حدث عندما منح السلطان أحد كبار التجار مدينة (كنبايه) إقطاعاً له^{٣٠}. كما أقطع الأمير غياث الدين ابن الخليفة العباسي المستنصر بالله مدينة (سيري) إقطاعاً بجانب مائة قرية عندما وفد عليه من بلاد ما وراء النهر^{٣١}. وأقطع أحد الشيوخ مدينة (ظهار) لأنه أهداه من بطيخ حلو يزرعه لا يزرع مثيله في الهند^{٣٢}.

أما عن التزامات أصحاب الإقطاعات أو المقابل الذي كانوا يؤدونه للسلطان فقد كانت مشابهة لباقي الأنظمة الإقطاعية الأخرى؛ فقد كان الأمراء يخرجون معه في حروبه^{٣٣}. كما كان كل إقطاعي يأتي إلى مجلس السلطان في عيدي الفطر والأضحى بدنانير ذهبية في صرة مكتوب عليها اسمه فيلقبها في طست ذهب موضوع أمام السلطان، ثم يمنحها السلطان لمن يريد^{٣٤}. بجانب ذلك كان أصحاب الإقطاعات يساهمون في إنشاء بعض مشاريع الري العامة في مناطق إقطاعهم مثل البحيرات الصناعية والخزانات، ولدينا بعض النقوش لنص عشر عليه في إحدى مقاطعات راجاستان Rajasthan يخبرنا أن الإقطاعي مالك بن فيروز بن محمد قام بإنشاء بحيرة صناعية (حوض) هناك وسماه بحر فيروز^{٣٥}. وباستثناء ذلك لم تحدثنا المصادر عن أية التزامات أخرى يؤدونها للسلطان فيما عدا الضرائب العامة المقررة على الأراضي.

٢٢. محمود إساعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ص ٤٥.
 ٢٣. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٦.
 ٢٤. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥١١-٥١٢.
 ٢٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٩٤.
 ٢٦. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٠٧.
 ٢٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٩٤.
 ٢٨. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٩٤.
 ٢٩. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٧.
 ٣٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٥٢.
 ٣١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٥٩.
 ٣٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٤٦.
 ٣٣. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٩.
 ٣٤. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٤٨.
 ٣٥. انظر: Siddiqui, « Water Works », p. 58.

وتبدو هناك إشارة وحيدة عن وجود نظام القبالة أو الالتزام فيما ذكره ابن بطوطة^{٣٦} عن التزام أحد رجال الهند مدينة دولت آباد مقابل (١٧ كرور) وعجزه عن الوفاء بهذا الالتزام. وباستثناء هذه الإشارة لا يوجد ما يشير إلى انتشار هذا النظام في الهند خلال تلك الفترة.

وخلال عهد فيروز اختلفت أنواع ملكية الأراضي نوعاً ما عما كان موجوداً زمن سلفه؛ فقد تم تقسيم كل أراضي السلطنة إلى أخماس، وكل خمس تم تقسيمه إلى مقاطعات، وجرى توزيع هذه المقاطعات على رجال الجيش بشكل يقارب النظام الإقطاعي الأوربي. وكان جنود الجيش يحصلون على أقطاعات من الأرض مقابل خدماتهم، أما الامتيازات الأخرى غير القانونية فكانوا يحصلون عليها من الخزانة الملكية. أما الذين لم يحصلوا على أقطاعات ولا رواتب فكانوا يحصلون على مخصصات من الخراج. وإذا علمنا أن الجيش كان يتكون من ٨٠-٩٠ ألف فارس بجانب تابعي بارونات الإقطاع والنبلاء الذين كان عددهم أقل بقليل من ٢٠٠ ألف يمكننا أن ندرك مدى ضخامة حجم الإقطاع خلال تلك الفترة^{٣٧}.

وكانت الإقطاعات تمنح تحديداً لنواب الملك، ونجد مناطق كبيرة وحتى ولايات بأكملها تخصص كإقطاع لكبار النبلاء. ومن ذلك أن السلطان منح منطقتي كارا Kara ودلو Dalmau لأحد كبار النبلاء مع لقب ملك الشرق. كما منحت مدينتي ظفارآباد Zafarabad وجانبور Jaunpur لأمير آخر. وجرى نفس الأمر على مناطق كجرات وبحار Bihar^{٣٨}.

أما عن الالتزامات الإقطاعية فقد اختلفت أيضاً خلال عهد فيروز شاه وارتبط معظمها بالعبيد الذين ازدهرت تجارتهم خلال هذا العهد؛ فعندما كان الإقطاعيون - ومعظمهم من كبار موظفي الدولة - يقومون بزيارتهم السنوية للعاصمة - كنوع من الحساب - كانوا يحضرون معهم الهدايا للسلطان من الفيلة والجمال والبغال والأواني الذهبية والفضية، بجانب من ١٠ إلى ١٠٠ عبد لكل فرد حسب الإقطاع وتخصم من ضرائبهم أو إيجاراتهم^{٣٩}. وعندما قام السلطان فيروز شاه بمنح ولاية كجرات كإقطاع لأحد النبلاء، كان ذلك في مقابل أن يقدم سنوياً للسلطان ٤٠٠ من العبید الأبحاش المختارين^{٤٠}.

على الجانب الآخر وفيما يخص أحوال الفلاحين وعلاقتهم بالسيد الإقطاعي في ظل هذا النظام؛ فقد كان من المتوقع أن هؤلاء النبلاء يديرون الإقطاعات ويشرفون على شؤونها الداخلية، لكن الأمر كان مختلفاً عن نمط الإقطاع الغربي فيما يخص حقوق الإقطاعي على فلاحى إقطاعيته فقد ألغى سلاطين بنى تغلق هذه الحقوق^{٤١}. خاصة في ظل الإقطاع العسكرى؛ فكما ذكرنا أن السلطان قام بالتخفيف عن كاهل هؤلاء أية أعباء أو التزامات مالية تجاه تابعيهم من الفرسان والجنود وربطها بخزانة السلطنة.

٣٦. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٤٨-٥٤٩.

٤٠. انظر: Imamuddin, « The Maritime Trade of Sind », p. 89.

٣٧. شمسى سراج عفيف، تاريخى فيروز شاهى، ص ٣٠٣.

٤١. انظر:

٣٨. عن هذه المناطق انظر الخريطة الخاصة بالهند في عصر بنى تغلق الملحقه بالبحث.

Habib, « The Peasant in Indian History », p. 54.

٣٩. انظر: Lane Pool, *Mediaeval India*, p. 145.

وقد تحسنت أحوال الفلاحين خلال عصر بني تغلق مقارنة بالفترات التي سبقتهم؛ فخلال عصر الخليجيين عانى الفلاحون من قسوة الضرائب، حتى أن علاء الدين الخلجي قام بجمعها من شيوخ القرى وأصر على جمعها نقداً مما جعل الفلاحين يضطرون لبيع محاصيلهم للتجار بأسعار بخسة لكي يدفعوا الضرائب نقداً^{٤٢}. فلما جاء غياث الدين تغلق وجد أن هذا الأمر فيه ظلم لشيوخ القرى والفلاحين، لذلك أعفى شيوخ القرى من الضرائب على أراضيهم مقابل ما يؤدونه من خدمات للسلطنة^{٤٣}.

لكن الأمور بالنسبة للفلاحين لم تسير بصورة طيبة كل الوقت، فخلال عهد محمد بن تغلق ومع ارتفاع نفقاته قام بزيادة الضرائب على الفلاحين في بعض المناطق الخصبة، وأدت قسوة هذه الضرائب إلى تحول عدد كبير من الفلاحين إلى متسولين. أما الأغنياء من شيوخ القرى فقد تحولوا إلى ثوار، وأجذبت الأراضي. وامتد هذا التأثير إلى كثير من الولايات؛ فأصيب الفلاحون بالذعر، وفقدوا الثقة في الحكومة، وهجروا أراضيهم، وحرقوا حطبهم، وأطلقوا ماشيتهم وأخذوها إلى الغابات^{٤٤}.

وقد زادت وطأة الأمر بعد أن حدثت مجاعة في المنطقة ولم تخفف الدولة من مطالبها حتى مع وقوع المجاعة، بل أصر الموظفون على جمع الضرائب المقررة وأيضاً لم تتخذ الدولة أية خطوات للتخفيف عن الفلاحين في ظل هذه الظروف السيئة. وحتى إجراءات السلطان التخفيفية مثل المعونات التي كانت تقدم للفلاحين كانت ضعيفة ومتأخرة، وعانى الفلاحون كثيراً مما اضطرهم في النهاية لهجر أراضيهم. وفي غضب عظيم قام السلطان ببعض الخطوات الانتقامية لإرجاعهم لأراضيهم^{٤٥}.

ثم تحسنت الأمور في عهد فيروز شاه بعد أن أعفى الكثير من المزارعين من ديونهم، وتمت السيطرة على مساوئ نظام جمع الضرائب بيد قوية، كما أدت التسهيلات التي قدمتها الحكومة للمزارعين إلى تحسن أوضاع الأراضي وزيادة غلتها، وظهر ذلك في ارتفاع قيمة الضرائب التي تم جمعها برغم إلغاء الكثير منها. حيث تم تقدير ضرائب منطقة دواب وحدها فقط بحوالي ثمانين لك، ومدينة دهلي بحوالي (٦ كرور و٨٥ لك)^{٤٦}. وكتب أحد الكتاب المعاصرين له^{٤٧} يذكر أنه كانت توجد بجوار منطقة دهلي وحدها ألف ومائتي قرية كانت تدفع سنوياً (١٨٠ ألف تنكة).

الإنتاج الزراعي

ازدهرت الزراعة بصورة كبيرة خلال تلك الفترة، ساعد على ذلك توفر المقومات التي هيأت المجال لهذا الازدهار مثل التربة الخصبة التي انتشرت حول ضفاف أنهار الهند المتعددة^{٤٨}. وكذلك مصادر المياه متمثلة في الأنهار، بجانب الأمطار

٤٥. انظر:

Majumdar, *An Advanced History of India*, p. 320;

Prasad, *History of Mediaeval India*, p. 273.

٤٦. لمعرفة قيمة هذه العملات راجع النظام المالى بالبحث.

٤٧. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٨.

٤٨. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠٨.

٤٢. برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٠٣-٤٠٧.

٤٣. برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٠٣؛

Syed, *History of Delhi Sultanate*, p. 107.

٤٤. برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٠٣؛

Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 265-266.

الموسمية الغزيرة التي كانت تسقط أربعة أشهر في السنة، واعتمد عليها الهنود في رى الأرض في نهاية فصل الصيف^{٤٩}. هذا بجانب المناخ المعتدل، الذي لم يكن مفرطاً في الحر أو البرودة مما أدى لتنوع الإنتاج الزراعى وغزارته^{٥٠}. ولكى تتم إدارة شؤون الأراضي الزراعية بكل كفاءة تم تقسيمها إلى أصداء، وكل صدق يضم مائة قرية. وكان لكل صدق موظفان يتوليان إدارته الأول يسمى جوطرى وهو بمثابة شيخ بلد أو عمدة، ومتصرف مختص بجمع الضرائب على الأرض عقب حصاد المحاصيل يتم مراقبته بشدة حتى لا يسئ استخدام وظيفته أو يظلم المزارعين^{٥١}. وكانت الزراعة خلال هذه الفترة موسمية تتم مرتين في السنة، في فصلى الخريف والربيع، فعند سقوط المطر في آخر الصيف يزرعون الزرع الخريفى ويحصدونه بعد شهرين، وبعد الحصاد يزرعون الحبوب الربيعية. ومن الحبوب التي تزرع خلال موسم الخريف (الكذرو، الشاماخ، الماش، المنج، الموت، اللوبيا، القال). ومن المحاصيل الربيعية (القمح والشعير والحمص والعدس والسمسم وقصب السكر)^{٥٢}. بجانب ذلك كانت هناك محاصيل تزرع ثلاث مرات في السنة مثل محصول الأرز الذي كان يعد المحصول الأساسى في البلاد^{٥٣}. كما ازدهرت زراعات الفواكه كالعنب والمان والنانج، بجانب التوابل كالفلفل والقرنفل والقرفة والكافور والدارصيني وغيرها^{٥٤}. وبجانب الأراضي الزراعية اهتم السلاطين بالحدائق التي ازدهرت بشكل كبير في الهند^{٥٥}، فقد اهتم فيروز شاه بشكل كبير بالحدائق وقام بزراعة ألف ومائتى حديقة بالقرب من دلهى وكثير في أماكن غيرها وكانت هذه الحدائق تنتج سبعة أنواع مختلفة من العنب الأبيض والأسود كانت تدخل دخلا سنويا للخزانة^{٥٦}.

مشروعات الرى

وساعد على تطور الزراعة وازدهارها مشاريع الرى من البحيرات الصناعية (الأحواض) والقنوات والسدود التي قام سلاطين بين تغلق بإنشائها في مناطق الهند المختلفة لتخزين مياه الأمطار واستخدامها في فصول الجفاف؛ فقد قام السلطان محمد بن تغلق بإنشاء بحيرة ضخمة بالقرب من مدينة عدلاباد Adilabad^{٥٧}، بجانب بحيرتين أخريين هما بحيرة تغلق شاه، وبحيرة قتلغ خان (معلم السلطان محمد بن تغلق). أما فيروز شاه فقد كان أكثر نشاطاً في إنشاء هذه البحيرات ومنها: بحيرة شاه زاده فتح خان (الابن الأكبر لفيروز شاه)، وبحيرة شاه زاده مبارك (ابن فيروز شاه)^{٥٨}، بجانب بحيرة ضخمة أقامها عند حصن حصار فيروزا Hisar Firuza^{٥٩}. ولم تكن مهمة هذه البحيرات أو الخزانات حفظ الماء فقط، بل كانت تستخدم في الزراعة أيضاً؛ فعند جفاف أطرافها كان يتم زراعتها ببعض المزروعات مثل قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الأخضر والأصفر^{٦٠}.

٤٩. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٦٨.
 ٥٠. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤١.
 ٥١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٠٧.
 ٥٢. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤١.
 ٥٣. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠٨-٤٠٩.
 ٥٤. العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٥.
 ٥٥. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٠.
 ٥٦. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٨.
 ٥٧. انظر: Siddiqui, «Water Works», p. 57-58.
 ٥٨. مجهول، سيرتي فيروز شاهي، ص ٧٨-١٠٧.
 ٥٩. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٦.
 ٦٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤١٨.

ولم يكتف فيروز شاه بهذه المشروعات، بل فكر في توفير مياه الري للمناطق التي تقلل بها المياه عن طريق الخزانات وقنوات الري، حيث أنشأ ٣٠ خزاناً لتعزيز الري في تلك المناطق، كما قام بإنشاء بعض السدود لهذه المهمة أيضاً^{٦١}. وقد أشار مؤرخ معاصر له لأسماء بعض هذه السدود مثل سد شكر خان ShukrKhan، وسد وزيراباد Wazirabad، وغيرها من السدود الأخرى^{٦٢}.

ومن هذه المشاريع أيضاً قناتين أمر بشقهما فيروز شاه؛ واحدة تمتد من جمنا Jumna والأخرى من ستليج Sutlej وقد سميت الأولى رحواب Rahwab والأخرى اولجخاني Ulugkhani. وكانت القناتان تجريان بالقرب من منطقة كرنال Karnal وبعد أن تجريان لمسافة ١٦٠ ميل تلتقيان وتشتريان في مجرى واحد في منطقة حصار فيروزا^{٦٣}. وقد ساهمت هذه القنوات في تحسين الري، وتوفير المياه بسهولة للأراضي الزراعية البعيدة عن مجارى الأنهار، وكانت إدارة القنوات تخضع لرقابة مهندسين أكفاء، كانوا يفحصون القنوات خلال موسم المطر والفيضان^{٦٤}.

الثروة الحيوانية

كان من الطبيعي مع التنوع الكبير للبيئة الهندية ومساحتها الشاسعة أن تتنوع الثروة الحيوانية بها ويزداد حجمها بصورة كبيرة^{٦٥}، خاصة في الحيوانات التي كانت تستخدم للاستهلاك البشري سواء للطعام أو الصناعة، حيث ذكرت المصادر^{٦٦} أن بها «ما لا يحصى من الدواب السائمة من الجواميس والأبقار والأغنام والماعز. أما الجمال فكانت قليلة ويبدو أن استخدامها كان قاصراً على التنقل فقط، خاصة للسلطان وكبار رجال حاشيته من الخانات والأمراء والوزراء»^{٦٧}. وقد وصف لنا ابن بطوطة^{٦٨} طريقة تسمين الماشية خلال تلك الفترة؛ حيث كان يؤتى بحبوب الموت والحمص وتجرش وتبل بالماء ثم تطعم للماشية، كما كان يتم سقى الماشية السمن لمدة عشرة أيام في كل يوم بمقدار ثلاثة أرتال أو أربعة، وبعدها تطعم أوراق نبات الماش.

على الجانب الآخر كانت هناك بعض الحيوانات التي تستخدم للطعام وأمور أخرى كالخيل؛ فبجانب استخدامها المعتاد لركوب الفرسان سواء للحروب أو المواكب والتنقل، كان يتم استخدام لحومها للطعام أيضاً، حيث كانت تسمن وتذبح وتقدم من ضمن مائدة السلطان^{٦٩}. ورغم كثرة الخيل بالهند إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته؛ فقد كان يفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربى من الخيل العرب، أما الخيل البراذين فكان يوزع منها بلا حساب^{٧٠}. ولعل السبب الأساسى لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند أن البيئة الهندية عموماً لم تكن ملائمة لتربية الخيل إذ يذكر العمري^{٧١} أن «الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج».

٦٧. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٢.

٦٨. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠٨.

٦٩. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٧.

٧٠. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٥.

٧١. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٢.

٦١. انظر: Siddiqui, «Water Works», p. 58.

٦٢. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٣٠.

٦٣. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٧.

٦٤. انظر: Lane Pool, *Mediaeval India*, p. 144.

٦٥. ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ص ٦٢.

٦٦. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٢؛ القلقشندى، صبح الأعشى،

ص ٨٢.

وبجانب الحيوانات الاستهلاكية وجدت حيوانات أخرى متعددة الاستخدام وأشهرها الفيلة، التي كان السلطان محمد بن تغلق يقتنى منها وحده حوالي ثلاثة آلاف فيل. ويبدو أن اقتناء الفيلة كان قاصراً على السلطان وكبار رجال الدولة والأثرياء نظراً للنفقات الباهظة التي كان يتكلفتها إطعام الفيلة؛ إذ أن كل فيل كان يحتاج يوميا ٤٠ رطلا من الأرز و٦٠ رطلا من الشعير و٢٠ رطلا من السمن بجانب نصف حمل من الحشيش^{٧٢}. وبجانب هذا اشتهرت الهند بطيور الزينة من الطواويس والبيغاوات المتعددة الأنواع والأشكال^{٧٣}.

الصناعة والإنتاج الصناعي

بجانب النشاط الزراعي وجدت بعض الأنشطة الصناعية المختلفة، والتي اعتمدت على المواد الخام المتوفرة كالحديد والخشب، والمحاصيل الزراعية كالقطن والنيلة. لكن التطور الصناعي خلال تلك الفترة لم يكن كبيراً فقد كانت الصناعات يدوية بدائية في الغالب، ومعظمها مرتبط بالاستهلاك المحلي، وهذا الأمر كان غالباً على معظم الصناعات في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة.

وكان من أهم الصناعات في الهند خلال عصر بني تغلق صناعة المنسوجات؛ ومنها ما كان يخص الدولة لإنتاج احتياجات القصر السلطاني، حيث كان للسلطان محمد بن تغلق دار طراز يعمل بها أربعة آلاف عامل تقوم بصناعة الأقمشة والخلع من الأقمشة التي كان يتم استيرادها من الصين والعراق والإسكندرية. ولاشك أن هذا العدد الضخم من العمال يمنحنا تصور عن مدى حجم هذه الدار أو المصنع ومدى إنتاجه، خاصة أن السلطان كان يفرق في كل عام مائتي ألف كسوة؛ مائة في الربيع ومائة أخرى في الخريف^{٧٤}.

كما وجدت بعض المغازل الخاصة بالصناعات القطنية؛ حيث يستخدم القطن من الأشجار الشابة في المغازل ويصنع منه المنسوجات القطنية، أما الأشجار القديمة فكان يستخدم قطنها في صنع الأحفنة. كما كانت تصنع في إقليم كجرات النمارق المحلاة بأسلاك الذهب التي تمثل أشكالاً للطير والحيوان التي تفوق في رقتها كل مثيلاتها في العالم. هذا بجانب أغذية الفراش التي تتميز بالرقعة والنعومة ويستخدم في صناعتها خيوط الذهب والفضة^{٧٥}.

ويرتبط بتلك الصناعات صناعة النيلة المستخدمة في عمليات الصباغة وكانت صناعتها بسيطة حيث يحضر نبات النيلة وينقع في براميل ماء، ويترك حتى يتعطن، ثم تعصر منه عصارته، ثم تترك في الشمس حتى يتبخر ماؤها وتتحول إلى عجينة، تقطع قطعاً صغيرة، وتستخدم في عمليات الصباغة^{٧٦}.

بجانب ذلك وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل الصناعات الخشبية وأهمها صناعة السفن التي تركزت في المناطق الساحلية، وكانت السفن تصنع من خشب الساج وهو من أفضل أنواع الأخشاب لشدة تحمله. ومتى تم إعداده لا ينشق أو يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله^{٧٧}. ولم تكن المسامير تستعمل في صنع السفن الهندية، وإنما كانت تشد أخشابها

٧٥. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ص ٦٨.

٧٦. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ص ٦٢.

٧٧. حوراني، العرب والملاحه، ص ٢٤٥.

٧٢. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٦.

٧٣. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ص ٦٣.

٧٤. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٥.

بربطات من الحبال شداً متينا، وكانوا يضعون الشحم في الثقوب والمنافذ الناتجة من ربطات الحبال^{٧٨}. وقد اختلفت الآراء في سبب عدم استخدام الهنود للمسامير في صناعة السفن، لكن الرأي الأقرب للصحة هو قدرة السفن المخيطة واستطاعتها التعامل مع أمواج المحيط، حيث تكون أكثر مرونة من مثلتها المساميرية فيمكنها امتصاص صدمات الأمواج، ولمرونتها تلك واتساع قاعدتها نتيجة استخدام الخيوط والحبال تكون أقل عرضة للكسر عند اصطدامها بالشعاب المرجانية الموجودة في المحيط الهندي^{٧٩}. هذا بالإضافة إلى صناعة الأسرة، وكانت الأسرة الهندية تصنع من أربع قوائم مخروطية يوضع عليها أربعة أعواد ثم تنسج عليها صفائر من الحرير أو القطن^{٨٠}.

كما وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل دباغة الجلود وتركزت في إقليم كجرات؛ حيث كانت تدبغ أعداد كبيرة من جلود الماعز والجاموس والثيران والخراثيت وغيرها من الحيوانات^{٨١}. كذلك صناعات الأسلحة؛ مثل السيوف والقسي والرماح والزرذ والصواغ والزراکش والسراجين^{٨٢}.

وعلى الجانب الآخر كانت هناك بعض الصناعات الغذائية مثل صناعة مشتقات جوز الهند؛ حيث كان يؤتى بالثمار من شجر النارجيل فيصنع منه الزيت والحليب والعسل، أما عن الزيت فتؤخذ ثمرة الجوز بعد نضجها فتزال قشرتها وتقطع قطع صغيرة، ثم تترك في الشمس، وبعد أن تذبل يتم طهيها في قدور، ثم يستخرج منه الزيت. أما طريقة استخراج العسل منه فإن هناك رجال مختصون بذلك يصعدون لشجرة جوز الهند ثم يقطعون الفروع التي تخرج منها الثمار، ويتركون منها جزءاً صغيراً ويضعون عليها قدورا صغيرة، ثم يسيل ماء من تلك الفروع في هذه القدور فيتم جمعها ليلاً، ثم يتم طهي هذا الماء فيصير عسلاً. أما الحليب فيتم إحضار جوزة الهند ويتم إحضار حديده مسننة ويتم عمل فتحة بطول الحديدة في الثمرة، ثم يتم جرش الثمرة من الداخل حتى لا يبقى في داخلها شيء، ثم ينقع هذا الجريش في الماء مع المرت باليد حتى يصير كلون الحليب وطعمه^{٨٣}.

التجارة والنشاط التجاري

التجارة الداخلية

نشطت التجارة الداخلية بصورة كبيرة خلال عصر بنى تغلق، وكان مركز هذا التجارة مدينة دلهي بوصفها أهم المدن الهندية، وكانت معظم البضائع تتجه في نهاية مطافها إلى هذه المدينة^{٨٤}. وكان أهم هذه البضائع التنبول^{٨٥}؛ الذي راجت تجارته لأن السلطان حرم شرب الخمر وتشدد في معاقبة من يشربها حتى من خاناته الكبار، لذلك لجأ الناس

٧٨. السيد أبي ظفر الندوي، أسطول كجرات، ص ٩٥.
 ٧٩. شوقى عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص ١٢٤-١٢٥.
 ٨٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٠٤.
 ٨١. ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ص ٦٨.
 ٨٢. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٢؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٨٣.
 ٨٣. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٦٥.
 ٨٤. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٤٠.
 ٨٥. التنبول: نوع من الأشجار المتسلقة، لذلك كانت زراعته تشبه زراعة العنب من حيث إقامة الدعائم كي يتسلقها النبات في نموه. وهو شجر بلا ثمر ولكن يستعمل ورقه. انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٥٩.

للتنبول لأنه «يشبه الخمر في مفعوله فيسقط الأنفس بسطا عظيما ويورثها سرورا زائدا لكنه مع ذلك يكون مع ثبوت العقل وصفاء الذهن»^{٨٦}.

بجانب ذلك كانت هناك تجارة الرقيق التي كانت رائجة هي الأخرى لرخص أثمان الجوارى، فالجارية الخادمة كان ثمنها لا يتعدى ٨ تنكات، والخدمة والفراش ١٥ تنكة، والعبد الشاب ٤ دراهم. وكانت هذه الأسعار في دلهي أما في غيرها فكان السعر أقل. وبجانب ذلك كانت هناك جوارى أسعارهن مرتفعة ومنهن من يبلغ ثمنها ٢٨ ألف تنكة، لكن كان لها مواصفات خاصة؛ مثل جمالها وحسن خلقها وحفظها للقرآن ورواية الأشعار وإجادة الغناء وضرب العود ولعب الشطرنج وغيرها، وكلما زادت مواهبها زاد سعرها. ورغم وجود الجوارى الترك والقبجاق والروم إلا أن الهنديات كان لهم الأفضلية لجمالهن وأمور أخرى^{٨٧}.

ولعل مما زاد في رواج هذه التجارة خاصة في عهد فيروزشاه، أنه كان واحدا من الملامح الرئيسية لعهد هو النمو غير الطبيعي لنظام العبيد. حيث كان العبيد يرسلون من نواب السلطان على أجزاء الإمبراطورية المتعددة. وكان بعضهم يتلقى تعليما حرا ويتم تخصيصهم لدراسة الدين والأدب والبعض يتلقى تعليما فنياً ويصبح حرفياً. وبسبب عطف السلطان زاد عدد العبيد بصورة هائلة حتى وصل عددهم إلى ١٨٠ ألف عبد. وكان في قصر السلطان وحده ٤٠ ألف من العبيد. ولإدارة هذا الجيش من العبيد تم تخصيص قسم منفصل وموظفين ولاشك أن هذا كان يشكل عبء على الخزانة^{٨٨}.

التجارة الخارجية

انتعشت التجارة الخارجية بصورة كبيرة خلال تلك الفترة خاصة مع التشجيع المباشر من السلاطين لها^{٨٩}؛ وقد استغل التجار عادة السلطان محمد بن تغلق في إكرام الغرباء، حيث اعتاد السلطان أن من يقدم عليه هدية أن يكافئه بأضعاف مضاعفة، فكان التجار يعطون القادم على السلطان قروضاً بالآلاف الدينار ويجوزونه بما سوف يهادى السلطان به، وبعد أن يحصل على مكافأته من السلطان يستردون أموالهم ومعها الأرباح. وقد مر ابن بطوطة بهذا الموقف حين أخذ من التجار الخيل والجمال والماليك وغيرها من الهدايا ليقدّمها للسلطان^{٩٠}.

وظهر حرص السلاطين على تشجيع التجارة وتنميتها في إلغاء بعض الضرائب التي تفرض على البضائع الواردة من خارج الهند؛ فقد كان بمدينة ملتان مركز للمكوس يتم فيه تفتيش القوافل التجارية المتجهة لجنوب الهند ويؤخذ الربع مما تحمله، بجانب ضريبة مقدارها سبعة تنكات على كل فرس يتم استيراده، فألغى السلطان محمد بن تغلق هذه الضرائب خاصة مع أهمية تجارة الجياد^{٩١}.

٨٩. انظر: Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 252.

٩٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣٩٦.

٩١. العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى،

ص ٧٨.

٨٦. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٨.

٨٧. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى،

ص ٨٥.

٨٨. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٤٤.

وظهر انتعاش التجارة الخارجية في عدد وحجم السفن التي كانت تقصد الموانى الهندية؛ إذ يذكر ابن بطوطة^{٩٢} أنه كان يوجد بميناء لكونوتى مائتى ألف مركب صغير. بجانب السفن الضخمة التي يوجد بها الطواحين والأفران والأسواق ولا يتعرف سكانها ببعضهم إلا بعد مدة لاتساعها. وبرغم ما قد يبدو من مبالغة في وصف ابن بطوطة؛ فإننا نجد تأكيداً لذلك فيما ذكره ماركو بولو^{٩٣} في وصفه لسفن الهند، حين ذكر أن بعض السفن تحوى ستين مقصورة لسكن التجار تزيد تبعا لحجم السفينة، وأن بعض السفن تحتاج إلى طقم ملاحين عدده ٣٠٠ رجل.

وكان من أنواع المراكب المستخدمة في الموانى الهندية: الجاكر^{٩٤}، العكبرى^{٩٥} وكان كل أصحاب كل مركب يحرصون على حماية ما به من بضائع من خطر القراصنة وعبث اللصوص، لذلك كان يوجد في كل مركب خمسين رامياً ومثلهم الحراس الحبشيين الذين اكتسبوا شهرة في مجال التصدي للقراصنة الهنود، وكان تواجههم بكل مركب علامة على ابتعاد القراصنة عنه^{٩٦}.

وبجانب ذلك كانت هناك المراكب الصينية، والكبيرة منها تسمى جنوك والوسط تسمى الزو والصغيرة تسمى الككّم. ويخدم في المركب الكبير ألف رجل ٦٠٠ من البحرية و ٤٠٠ من المقاتلة. ويتبع المراكب الكبيرة ثلاثة النصفى والثلاثى والرابعى. ولا تصنع هذه السفن إلا بالصين؛ وقد ترك لنا ابن بطوطة وصفاً دقيقاً لصناعتها^{٩٧}.

وكان تواجد السفن الصينية في الموانى الهندية بكثرة أمراً طبيعياً؛ فقد كانت الصين من أهم الشركاء التجاريين للهند خلال العصور الوسطى، وكانت السفن الصينية تحمل إلى الهند الحرير الخام والأقمشة الحريرية والديباخ وخشب الصندل وغير ذلك. كما كانت المواصلات بين الهند والصين في أيدي تجار صينيين أو على الأقل تجرى بواسطة السفن الصينية، وكانت السفن تعود إلى الصين وهي محملة بالعقاقير الهندية (الأفاويه)، حيث كانت الصين أكبر مشتري لتلك العقاقير وكان الصينيون يدفعون أكبر ثمن في شرائها، لذلك كان يصدر منها إلى الصين كميات كبيرة^{٩٨}.

وكان الساحل الغربى للهند المحط الرئيسى للسفن القادمة من الغرب، حيث كانت تستطيع الحصول على أغلب احتياجاتها دون التوجه إلى الساحل الشرقى للهند، إذ كان هذا الساحل بمثابة الواجهة التي تعرض فيها منتجات الداخل الغزيرة، خصوصاً من التوابل^{٩٩}. وكانت هناك جاذبية أوربية للساحل الغربى للهند نظراً للتنوع غير العادى للسلع التي تضى على السوق الفاخرة روعة خاصة بجانب سياسة تشجيع التجارة التي انتهجها آل تغلق^{١٠٠}. وظهر هذا الاهتمام من قبل مدن ايطاليا التجارية مثل جنوة والبندقية قبيل ظهور بنى تغلق بوقت قصير، فقد قامت أول بعثة تجارية جنوية قاصدة سواحل الهند عام ١٢٩١م، وقام بها ثلاثة أخوة من أسرة فيفالدى Vivaldi، أحد أشهر الأسر التجارية في جنوة، وتكونت البعثة من سفيتين حربيين كبيرتين^{١٠١}. وبغض النظر عن مصير هذه البعثة الذى اختلفت الآراء حوله، إلا أن

٩٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠٣.

٩٣. ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ص ١١-١٢.

٩٤. الجاكر: نوع من السفن يستخدم لنقل المسافرين ويزود عادة

بالمقاتلة لحماية ركابه من القراصنة. وللمزيد عنه انظر: درويش النخلى،

٩٥. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٦٥.

٩٦. السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص ٢١.

٩٧. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج ٢، ص ٣٩٦.

٩٨. العكبرى: من المراكب الخفيفة التي يمكنها مغالبة الأمواج والسفر

٩٩. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص ١٩١.

في الظروف التي لا تلائم المراكب الكبرى الثقيلة، وكان يستخدم في

١٠٠. انظر: Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 252.

١٠١. هايد، تاريخ التجارة في الشرق، ص ٣٨٣.

الذى يهمننا هنا هو دلالة هذه البعثة على الاهتمام التجارى الغربى بسواحل الهند. ولم يقتصر الأمر على الجنويين فقط، فقد قام التجار البنادقة برحلات تجارية لمنطقة كولاام على ساحل مليبار من أجل الحصول على الفلفل والزنجبيل وغيره من التوابل الهندية^{١٠٢}.

وكان أكثر اهتمام الغرب بساحل الهند الغربى خاصة منطقة كولاام، وكانت هناك أسباب عديدة حملت التجار الغربيين على التردد على كولاام وهو جاذبيتها كسوق به كمية هائلة وتنوع غير عادى من المنتجات خاصة الفلفل؛ الذى كان أكثر المنتجات طلباً، وأرتفع ثمنه ارتفاعاً هائلاً فضلاً عن ندرته لشدة إقبال الأوربيين عليه، حتى صار مثل شائع فى العصور الوسطى بتشبيهه الشئ النادر الغالى بالفلفل فيقولون «غال كالفلفل». ونتيجة هذه الندرة وارتفاع ثمنه أصبحت له قوة شرائية، وكان يستعمل فى بعض الأحيان بديلاً عن النقود^{١٠٣}. وكان رؤساء الكنيسة الفرنسية يتقاضون العشور توابل خاصة الفلفل، كما كان العبيد يشترون حريتهم بأحمال من الفلفل، وكان يؤدى كإيجار للأراضى الزراعية فى انجلترا^{١٠٤}.

أما عن أهم أنواع البضائع التى جرى تبادلها فى التجارة الخارجية لسلطنة بنى تغلق مع جيرانها فى الهند وجيرانها بالخارج فلعل أهمها الخيل؛ فرغم كثرة الخيل بالهند إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته؛ فقد كان يفرق فى كل سنة عشرة آلاف فرس عربى من الخيل العرب، أما الخيل البراذين فكان يوزع منها بلا حساب^{١٠٥}. كما كانت الخيول تسمن وتذبح وتقدم من ضمن مائدة السلطان^{١٠٦}. ولعل السبب الأساسى لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند أن البيئة الهندية عموماً لم تكن ملائمة لتربية الخيل إذ يذكر العمرى أن «الخيول إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج»^{١٠٧}. لذلك كانت تجارة مريحة للغاية لكثرة العساكر والحاشية وعدم بقاء الخيول بها لفترات طويلة.

وكانت الخيول تجلب عادة من البحرين، وكان لأهل البلاد علامة فى الفرس يعرفونها فمتى رأوها فى فرس اشتروه بمبالغ عالية^{١٠٨}. كما كانت تجلب أيضاً من بلاد الترك ومن اليمن والعراق^{١٠٩}. والخيول التى كانت تأتى من بلاد الترك كانت تقدم فى قوافل كبيرة تقارب ستة آلاف فرس لكن الكثير منها كان يموت فى الطريق البرى الذى يخترق السند وصولاً للهند، بجانب ما يسرق وما يدفعون من جمارك. لكن الأرباح العالية منها كانت تعوض ذلك، فالفرس الرخيص كان يباع بمائة تنكة، ويصل ثمن الجيد منها إلى ٥٠٠ تنكة، وهذه الجياد تخصص للحروب. أما الجياد التى تخصص للجرى والسبق فتجلب من اليمن وعمان وفارس ويبيع الفرس بمبلغ يتراوح بين ١٠٠٠-٤٠٠٠ تنكة^{١١٠}.

بجانب ذلك كانت هناك بعض المنتجات الغذائية مثل البطيخ الأصفر الذى كان يتم استيراده من بخارى، والذى كان السلطان محمد بن تغلق يحبه حتى أن أحدهم حمل إليه حمل تلف غالبه ولم يبق غير اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه

١٠٢. هايد، تاريخ التجارة فى الشرق، ص ٣٩٣.
 ١٠٣. هنرى بيرين، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ص ١٨.
 ١٠٤. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى، ص ٢١٥.
 ١٠٥. العمرى، مسالك الأبصار، ص ٤٥.
 ١٠٦. العمرى، مسالك الأبصار، ص ٤٧.
 ١٠٧. العمرى، مسالك الأبصار، ص ٤٢.
 ١٠٨. العمرى، مسالك الأبصار، ص ٤٦.
 ١٠٩. ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة، ص ٢٥٩.
 ١١٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣٢٨.

٣٠٠٠ مثقال من الذهب^{١١١}. والزبيب واللوز من خراسان^{١١٢}. كما كان يتم استيراد الثياب والقماش؛ حيث يستورد ١٠٠ ألف كسوة من الإسكندرية. وثياب الكتان من بلاد الروس والإسكندرية^{١١٣}. والقماش من الإسكندرية والصين والعراق^{١١٤}. والأقبية الإسلامية مخرصة الأوساط من خوارزم^{١١٥}.

ولم يكن الميزان التجارى يميل كله لصالح واردات الهند، بل كانت هناك الكثير من الصادرات الهندية التى تصدر لدول الجوار؛ فقد كان التجارى يشترون الحشائش والصبوغ من الهند^{١١٦}. ومن جاجنكر القماش والأفاويه والطيب، ومن بلاد المعبر الطيب والقماش^{١١٧}. ومن تانة القنا والطباشير والثياب التانشية^{١١٨}. ومن سندان القسط والقنا والخيزران^{١١٩}. والفلفل من ساحل مليبار^{١٢٠}. كما كان عسل جوز الهند يصدر للصين واليمن^{١٢١}. والأرز يصدر من الهند لسواحل اليمن^{١٢٢}.

وكان للتجارة دور فى حياة المدن؛ فمدينة كنباية على سبيل المثال تميزت بأبنيتها ومساجدها المميزة لأن أكثر سكانها من التجار الغرباء، «وهم يتنافسون فيما بينهم فى بناء البيوت والمساجد على أشكال عجيبة مختلفة»^{١٢٣}.

النظام المالى

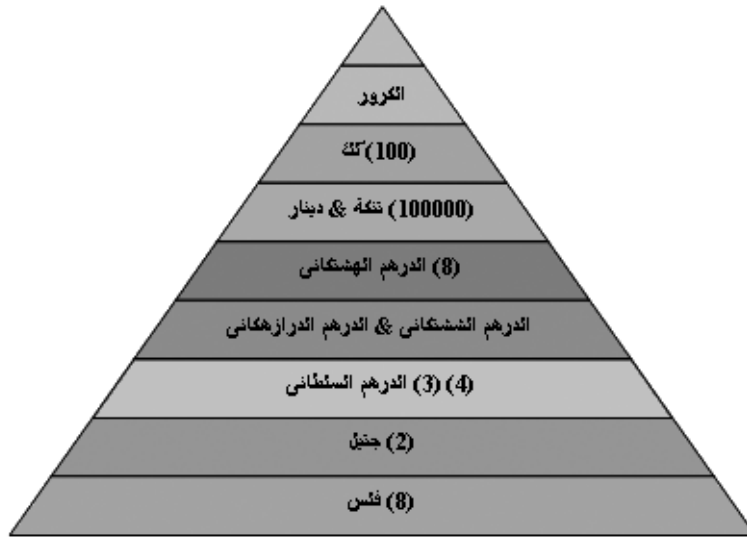
كان النظام النقدى الهندى خلال عصر بنى تغلق بالغ التعقيد، ويمكننا أن نرسمه فى شكل هرمى يضم فى قمته عملات ذات قيمة ضخمة، ثم عملات أخرى متوسطة القيمة، ثم يأتى فى قاعدته العملات ذات القيمة الأدنى. وقد ساعدنا على وضع هذا التصور ما ورد ببعض المصادر التاريخية من تفاصيل عن طبيعة هذا النظام النقدى. فقد ذكر ابن بطوطة^{١٢٤} أنه كانت بالهند ثلاث عملات رئيسية وهى الكروور واللُّك والدينار، وأن (الكروور = ١٠٠ لُّك) و(اللُّك = ١٠٠ ألف دينار). وأضاف القلقشندى^{١٢٥} نقلاً عن شاهد عيان أنه كانت هناك أربع عملات أساسية أخرى للنظام النقدى فى الهند خلال عهد محمد بن تغلق وهى كالتالى:

الدرهم الهشتكانى (ويساوى ٤ دراهم سلطانية)، الدرهم الششتكانى (ويساوى ٣ دراهم سلطانية)، الدرهم الدراندهكانى (ويساوى فى القيمة الدرهم الششتكانى)، والدرهم السلطانى (ويساوى ٢ جتيل). والجتيل (يساوى ٨ فلس).

وبرغم أن العمري^{١٢٦} ينقل عن نفس المصدر إلا أنه ذكر أن للهند ستة عملات وليس أربعة مع اختلاف بعض المسميات لديه فالدراهم الأربعة يذكرها بالشكل التالى (هستكانى، سشتكانى، دوازدهكانى، سلطانى) وهذا الاختلاف

- | | |
|--|--|
| ١١١. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٣؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٩٠. | ١١٨. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٧٢. |
| ١١٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠٤. | ١١٩. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٧٣. |
| ١١٣. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٥؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٩٣. | ١٢٠. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٧٣. |
| ١١٤. العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٥. | ١٢١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٦٥. |
| ١١٥. العمري، مسالك الأبصار، ص ٦١. | ١٢٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٧١. |
| ١١٦. العمري، مسالك الأبصار، ص ٦٢. | ١٢٣. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٥٠. |
| ١١٧. العمري مسالك الأبصار، ص ٣٧. | ١٢٤. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٤٩. |
| | ١٢٥. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٨٤. |
| | ١٢٦. العمري، مسالك الأبصار، ص ٦٠. |

في أسماء الثلاث دراهم ربما كان مرجعه خطأ من النساخ لأن المسميات قريبة. أما الدرهمان الزائدان فهما (يكانى، شازرد كانى) والأول ذكره القلقشندى دون تحديد اسمه حين ذكر أن الدرهم السلطاني يساوى نصف درهم لكن لم يحدد له مسمى، أما الدرهم الثانى فلم يذكره القلقشندى. ويذكر العمرى أنه يساوى درهين. والحقيقة أن ما ذكره القلقشندى أقرب للتنظيم مما ذكره العمرى الذى أخطأ أيضاً حين سمى الدرهم الهشتكانى مرة بالدرهم الفشتكانى وتارة هشتكانى. وبجانب هذه العملات كانت توجد عملات ذهبية خاصة ضخمة القيمة مثل التنكة، وكانت نوعان فضية (بيضاء) تساوى ٨ دراهم هشتكانية & ذهبية (حمراء) تساوى ٣ مثاقيل، وكل ١٠٠ ألف تنكة تساوى لك^{١٢٧}. ومن العرض السابق يمكننا أن نحدد النظام النقدي الهندي في شكل هرمى أعلاه (الكرور) يليه (الللك) ثم يليه (التنكة والدينار بنفس القيمة)، يليهما أربعة عملات كبيرة رئيسية وهى الدراهم (الهشتكانى، الششتكانى، الدوازدهانى، الشارزردكانى)، وكلها يمكن تقسيمها للدرهم السلطاني الذى كان العملة الوسيطة والأكثر تعاملًا، وهو بدوره ينقسم لعملة أصغر منه وهى الجتيل أو الحثيل، ويأتى في ذيل هرم العملات الفليس.



شكل ٢. شكل هرمى يوضح النظام النقدي الهندي خلال عصر بنى تغلق.

السياسة المالية والنظام النقدي

كان الإسراف اللا محدود للسلطان محمد بن تغلق حقيقة أحد أسباب متاعبه. وحتى مع الثروة العظيمة التى تمتعت بها مملكته، والتى عززتها الغنائم التى حصل عليها من المدن الهندية في منطقة الدكن، التى أصبحت تحت سيطرته لم تستطع مواجهة الإنفاق الهائل على حاشيته^{١٢٨}. وكانت مظاهر الإسراف واضحة في نفقاته التى تجاوزت ٣٦ لك في السنة^{١٢٩}؛

١٢٩. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٤٧.

١٢٧. القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٨٤-٨٥.

١٢٨. فرشته، تاريخ فرشته، ص ١٢ وما بعدها.

حيث كان يتصدق عند رؤية هلال كل شهر بلكين، بجانب راتب مستمر لحوالي أربعين ألف فقير (درهم + ٥ أرطال خبز قمح أو أرز لكل واحد منهم)، بجانب رواتب ألف فقيه يعلمون الناس القراءة والكتابة^{١٣٠}. هذا بجانب اقتنائه لحوالي ٣ آلاف فيل مع نفقاتها الباهظة^{١٣١}.

بجانب ذلك كان السلطان شديد الكرم بالنسبة للغرباء ويفضلهم على رعاياه الهنود ويخصهم بالولايات والمراتب الرفيعة حتى أن معظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره كانوا من الغرباء. وعندما كان الغرباء يقدمون إلى دلهي كان يمنحهم الكثير من القرى والأراضي المعفية من الضرائب والتي تجعلهم يعيشون في رفاهية أثناء زيارتهم للهند وتجعلهم عند المغادرة أغنياء. وابن بطوطة نفسه عند زيارته للهند في عهد السلطان محمد بن تغلق نعم بكرم السلطان وضيافته، وتم تعيينه كقاضٍ لمدينة دلهي، وفي النهاية أرسل كسفير من قبل السلطان إلى الصين^{١٣٢}.

ولاشك أن العدد الضخم اللامعقول من زواره وحاشيته من الشعراء والموظفين وغيرهم أفقر الخزانة التي ازدهرت نسبياً خلال عهد والده القصير، وقضت الحملات الهائلة التي قام بها السلطان لاستكمال فتوحاته في الهند على ما تبقى من أموال. بجانب ذلك فإن مشروعه لغزو فارس جعله يبقى على جيش ضخم ظل عاطلاً، وحلمه الآخر بغزو الصين قاد في النهاية إلى كارثة^{١٣٣}.

يضاف إلى ذلك سياسته الخاطئة حين فكر في نقل العاصمة وبناء حاضرة جديدة تسمى دولت آباد وأمر أهل دلهي أن ينتقلوا إليها بالقوة، وعندما رفضوا ذلك قام بتهجيرهم قسراً وبعنف واشترى من أهلها جميع دورهم ومنازلهم حتى خربت دلهي فأمر أهالي البلاد أن يعمروها فخرت البلاد ولم تعمر دلهي لاتساعها^{١٣٤}. وان كان هناك من يرى^{١٣٥} أنه لم يطلب من أهل دلهي الهجرة للعاصمة الجديدة، وأنه لم يهاجر كل الناس للعاصمة الجديدة. هذا المشروع لم يكن كما رأى بعض الدارسين محاولة وحشية للانتقام من سكان دلهي. بل كان لهذا الاختيار سبب فكما يقول براني كانت العاصمة تحتل مركز متوسط بين مقاطعات الدولة وموقع استراتيجي مما جعلها في مأمن من غزوات المغول^{١٣٦}. ولا شك أن قرار السلطان محمد بن تغلق بنقل العاصمة من دلهي إلى دولت آباد كان قرار غير مدروس وسبب معاناة للناس^{١٣٧}.

وأمام هذه الأعباء التي فرضت على الخزانة لم يكن هناك مناص من فرض ضرائب جديدة، خاصة على الأراضي الزراعية الخصبة. ولاشك أن هذه الضرائب الجديدة كانت حملاً زائداً على السكان لاسيما أن هامش العائد الزراعي كان صغيراً جداً^{١٣٨}. وقد أشار برني^{١٣٩} إلى ذلك بقوله «كان المشروع الأول الذي قام به السلطان والذي أدى لخراب البلاد وإفقار الشعب هو محاولة الحصول على نسبة ٥ أو ١٠ بالمائة زيادة على الضرائب المحصلة من أراضي

١٣٥. انظر:

Roy, «The Transfer of Capital», p. 449-464; Hussain, *Rise and Fall of Muhammad bin Tughluq*, p. 109-122.

١٣٦. انظر:

Majumdar, *An Advanced History of India*, p. 320.

١٣٧. انظر: Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 259.

١٣٨. انظر: Lane Pool, *Mediaeval India*, p. 128-129.

١٣٩. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٧٣.

١٣٠. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥١.

١٣١. العمري، مسالك الأبصار، ص ٥٦.

١٣٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣٩٥.

١٣٣. عن حملاته في آسيا انظر:

Jackson, «The Mongols and the Delhi Sultanate», p. 57-118.

١٣٤. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٧٩-٤٨٠.

دواب^{١٤٠} Doab، وقد كانت هذه الضرائب فوق طاقة الأهالي». وبرنى نفسه باعتباره مواطن هندي من سكان هذه المنطقة وشاهد عيان على هذه الوقائع عانى من تأثيرات هذه الضرائب. ونتيجة لفشل هذه الضريبة قام السلطان بمطاردة الهنود البؤساء مثل الحيوانات البرية وحاصرهم في الغابات وأوقع بهم مذبحه. وفي مدن دواب وقنوج وغيرها تم قتل كل من قبض عليه من الرجال وقطعت رؤوسهم وعلقت على متاريس المدن. ولم يسلم من هذا المصير ملاك الأراضي ورؤساء القرى، ومما زاد الأمر سوء نقص الأمطار الموسمية ونقص مخزون الحصاد^{١٤١}.

وقد رأى أحد الدارسين المحدثين^{١٤٢} أن سبب هذه الإجراءات هو خصوبة وغنى تلك الأراضي وما تدره من دخل، وكذلك لعقاب أهالي المنطقة من الثائرين ضد السلطان محمد بن تغلق. لكن هناك باحث آخر^{١٤٣} رأى أن هذه الزيادات لم تكن مفرطة وأنها لم تكن تتجاوز ٥٠ بالمائة من التي كانت مفروضة في عهد علاء الدين الخلجي^{١٤٤}. ورأى أيضا أن مشروع السلطان بزيادة الضرائب المحصلة على سكان دواب لم يكن نيته إجراء عقابي ضد المقاومين من سكان دواب ولكن كان الغرض منه سد العجز في الخزانة. بينما رأى باحث آخر^{١٤٥} أن الغرض من هذه الضريبة كان زيادة مصادره العسكرية وتنظيم الإدارة على أساس فعال.

وكان للفكر الاقتصادي للسلطان محمد بن تغلق تأثير كبير على النظام النقدي في الهند، فلكي يواجه الاستنزاف الهائل لخزائنه والذي مؤداه ضخامة حاشيته وإسرافه الزائد، قام بخطوة جريئة وهي البعد عن العملات الذهبية والفضية وسك عملات نحاسية يتم التعامل بها. هو ربما أخذ الفكرة من الأوراق النقدية التي أصدرها قبلاى خان في الصين، أو من الأوراق التي حاول خان المغول جاي خاتو في فارس أن ينجح بها رعيته. لكن عملة تغلق المفروضة لم تكن تنوى أن تسلب الناس حقهم، وبدون قصد أدت إلى انتعاش الشعب، فقد كانت العملة النحاسية مقارنة بالورق فكرة جديدة. وكانت العملة النحاسية تساوى في قيمتها تنكة الفضة المعاصرة، وبالطبع كانت مقبولة للاعتماد في الخزانة العامة.

ومن اللافت للنظر ومما لاشك فيه تماما أن قيمة العملة الجديدة تعتمد على ضمان الخزانة لها، لذلك فإن السلطان نسى أنه من الضروري تماما لنجاح ابتكاره أنه لا يصدر العملة سوى الدولة. وخلال تلك الفترة لم تكن هناك وسيلة للتمييز بين العملات الملكية والعملات المزيفة التي يسكها الأفراد. وتزييف الذهب كان أمر مكلف، لكن أى نقاش هندي ماهر يمكنه نقش وضرب العملات النحاسية التي تحمل قيمة التنكة بنفسه^{١٤٦}.

النتيجة كانت طبيعية فقد أدى سك العملة الجديدة كما يقول برنى^{١٤٧} إلى تحول منزل كل هندي الى دار لسك العملة وقام الهنود في الولايات المختلفة بسك اللكات والكارورات من العملات النحاسية. وبذلك تمكنوا من دفع الضرائب

١٤٤. عن الضرائب التي فرضها علاء الدين الخلجي انظر، برنى،

تاريخي فيروزشاهي، ص ٢٩١؛

Jackson, *The Delhi Sultanate*, p. 242.

١٤٥. انظر: Haig, *Five Questions*, p. 370.

١٤٦. انظر: Lane Pool, *Mediaeval India*, p. 134-135.

١٤٧. برنى، تاريخ فيروزشاهي، ص ٤٨٥.

١٤٠. الكلمة تتكون من مقطعين: دو بمعنى اثنان، وآب بمعنى نهر

والكلمة بمعنى النهران، وهي منطقة تقع شرق دلهي بين نهري جينا

والجنج، انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٢٩.

١٤١. انظر: Lane Pool, *Mediaeval India*, p. 129.

١٤٢. انظر: Prasad, *History of Mediaeval India*, p. 273.

١٤٣. انظر:

Majumdar, *An Advanced History of India*, p. 319.

وشراء الخيول وكل الأنواع الطيبة الأخرى. وقد زاد غنى الراجات ورؤساء القرى وملاك الأراضى لكن الدولة كانت هى الخاسرة. وكان كل صانع للذهب يضرب العملات النحاسية في متجره وامتلاّت الخزينة بتلك العملات النحاسية. هذا الانخفاض في القيمة جعلها بعد فترة لا تساوى أكثر من حصة أو كسرة خزف. والعملية القديمة بعد المذبحة التى تعرضت لها ظهرت بحوالى أربع أو خمس أمثال قيمتها.

وعندما انقطعت التجارة في كل جانب وأصبحت العملة النحاسية لا قيمة لها، اضطر السلطان إلى إلغائها وأعلن في حنق شديد أن حائزى العملات النحاسية يجب عليهم إحضارها إلى الخزانة واستبدالها بالعملية القديمة. وقد قام آلاف الهنود الذين كانوا يمتلكون الآلاف من هذه العملة النحاسية وكانوا لا يهتمون بها ويضعونها في جوانب بيوتهم بجانب أوعيتهم النحاسية، بإحضارها للخزينة واستبدالها بالتكنكات الذهبية والفضية^{١٤٨}.

بجانب ذلك قام السلطان محمد بن تغلق بتغييرات أخرى في النظام النقدي حيث أصدر عملة ذهبية جديدة هى الدينار كانت وزن ٢٠٠ جرام. كما أصدر عملة فضية وزن ١٤٠ جرام بدلا من العملات الذهبية والفضية القديمة التى كانت وزن ١٧٥ جرام. وقد أدى هذا الإجراء إلى هبوط قيمة الذهب قياساً إلى الفضة. وكانت الخزانة الإمبراطورية قد امتلاّت بأعداد كبيرة من الفضة نتيجة الحملات على الدكن^{١٤٩}. وسرعان ما امتدت يد الإصلاح إلى نظام الضرائب نفسه حين ألغى السلطان الكثير من الضرائب وأمر «برفع المكوس وألا يؤخذ غير العشر من الناس»^{١٥٠}. وبذلك أزاح عن كاهل الناس الكثير من الأعباء.

واستمر هذا الوضع بالنسبة للضرائب على الأرض في عهد فيروز شاه حيث حدث تطور كبير في النظام الخاص بها؛ فقد نظام الضرائب تم إعادة تنظيمه على أساس عادل، وتم إلغاء كل الضرائب غير القانونية التى فرضت في العهود السابقة لفيروز، حيث تم إلغاء ٢٣ ضريبة ولم تعد هناك ضرائب سوى المذكورة في القرآن وهى (الخراج، والزكاة، والجزية، والخمس)^{١٥١}. وبجانب هذه الضرائب كانت هناك ضريبة خاصة بالرى وكانت تقدر بحوالى عشرة بالمائة من المحصول^{١٥٢}.

كما أصبح تقدير الضرائب على الأرض يتم بعد دراسة ظروف كل أرض وتم عمل استقصاء عن ملاك الأراضى الذين فقدوا أراضيهم، وطلب منهم أن يطالبوا بها بشكل قانونى. وقام السلطان بتعيين أحد كبار رجال بلاطه كمسؤول عن تقدير الضرائب، وقام هذا الرجل بجولة عبر المملكة ووضع تقرير خاص ضمنه اقتراحاته لتحسين نظام الضرائب. وكان من أهم ما جاء بتقريره ضرورة أن تلقى الدولة من على كاهل المزارعين الكثير من الأعباء، مثل المطالبات التى كانوا مضطرين لدفعها للحكام المحليين سنويا^{١٥٣}.

١٤٨. برنى، تاريخ فيروز شاهى، ص ٤٨٦.

١٥١. فيروز شاه، فتوحاتى فيروز شاهى، ص ٣٧٧.

١٤٩. انظر:

١٥٢. فيروز شاه، فتوحاتى فيروز شاهى، ص ٣٦١.

Majumdar, *An Advanced History of India*, p. 322.

١٥٣. شمسى سراج عفيف، تاريخى فيروز شاهى، ص ٣٧٤.

١٥٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٧٠.

وفيما يخص الضرائب على التجارة؛ كان السلطان محمد بن تغلق قد فرض ضرائب بقيمة الربع على كل الواردات ثم خفضها إلى العشر أو الخمس. وبجانب ذلك كان يجبي ربح جتيل على كل تنكة من قيمة البضائع التي تباع. ثم قام السلطان فيروز شاه بإلغاء هذه الضرائب^{١٥٤}.

أما عن النظام النقدي في عهد فيروز شاه فيذكر المؤرخون المعاصرون لفيروز أنه أصدر عدة عملات جديدة، لكن الحقيقة أن معظم هذه العملات ترجع لعهد محمد بن تغلق^{١٥٥}. وفيما يخص إدارة العملة فظلت غير فعالة وحالات التزوير وسك العملة المزيفة لم يكن يتم كشفها بسهولة. لكن على الجانب الآخر فإن فيروز شاه لم يهمل اهتمامات رعيته ولكي يسهل التعامل بين الفقراء قام بإصدار عملة صغيرة هي نصف وربع جتيل، كانت خليط من الفضة والنحاس^{١٥٦}.

الأسعار

كانت الأسعار خلال عصر آل تغلق رخيصة بوجه عام، فقد ذكر العمري^{١٥٧} أن أحدهم حدثه أنه أكل مع ثلاث رفاق له في مدينة دهلي لحم بقري وخبز وسمن حتى شبعوا ولم يدفعوا سوى جتيل واحد. كما تحدث أيضاً عن رخص أسعار المنتجات الهندية وقلة أثمانها^{١٥٨}.

لكن على الجانب الآخر كانت هناك بعض الأزمات الاقتصادية التي حدثت خلال تلك الفترة، فخلال فترات الجفاف ارتفعت الأسعار حتى وصل سعر (من) القمح إلى ستة دنانير^{١٥٩}. وكان ابن بطوطة شاهد عيان على هذه الحالة فقد روى أنه رأى ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرس نهر مات منذ أشهر ويأكلنه، وكانت الجلود تطبخ وتباع في الأسواق، وكان الناس إذا ذبح البقر أخذوا دماؤها فأكلوها. كما ذكر أن آخرين رويوا له أنهم قصدوا منزلاً لبييتوا فيه فوجدوا به رجلاً بيده رجلاً آدمية يشويها في النار ويأكل منها^{١٦٠}.

ولم يقف السلطان ساكناً أمام هذه الظروف، بل حاول التخفيف عن رعيته في هذه الأزمات فأمر أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر، وحتى يضمن العدالة في توزيع هذه المساعدات فإنه جعل ذلك يتم تحت إشراف الفقهاء والقضاة^{١٦١}.

١٥٨. العمري، مسالك الأبحار، ص ٤٢.
١٥٩. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٧٠.
١٦٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٥٠١.
١٦١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٤٧٠.

١٥٤. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٧٥.
١٥٥. انظر:
Majumdar, An Advanced History of India, p. 322.
١٥٦. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٤٤-٣٤٥.
١٥٧. العمري، مسالك الأبحار، ص ٦٠.

قائمة بأسعار بعض المنتجات خلال عهد محمد بن تغلق ١٦٢:

السلعة	السعر بالدرهم الهشتكاني
القمح	من ١٦٣ = درهم ونصف
الشعير	من = درهم
الأرز	من = درهمن إلا ربع
الحمص	من = نصف درهم
لحم البقر والماعز	٦ أستار ١٦٤ = ربع درهم
لحم الغنم	٤ أستار = ربع درهم
الأوز	طائر = درهمن
الدجاج	٤ طيور = درهم
السكر	٥ أستار = درهم
رأس الغنم الجيدة	٨ دراهم
البقرة الجيدة	٦١ درهم
سكر النبات	٤ أستار = درهم

قائمة بأسعار بعض المنتجات في عهد فيروز شاه ١٦٥:

السلعة	السعر بالجتيل
قمح	من = ٨ جتيل
شعير	من = ٤ جتيل
حنطة	من = ٤ جتيل
سكر	ستر = ٣ جتيل

صفوة القول أن الحياة الاقتصادية في الهند خلال عصر بني تغلق قد شهدت مراحل متباينة من الانتعاش والحمول وفقا لطبيعة السلطة المركزية وسياسة السلاطين التي أثرت بشكل كبير على أنماط الإنتاج وطبيعة الحياة الاقتصادية. ومع التنوع الكبير في البيئة الهندية تنوعت الحياة الاقتصادية بكافة أشكالها: الزراعية، والصناعية، والتجارية. ويمكننا القول أن الحياة الاقتصادية خلال تلك الفترة تمثل نموذجا فريداً في الدينامية والتنوع في التاريخ الاقتصادي للهند خلال عصورها الإسلامية.

١٦٤. الستر: يساوي تقريبا ٤,٤ جم. انظر هينتس فالتر، المكايل والموازين، ص ١٩.

١٦٥. شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٢٩٠.

١٦٢. العمري، مسالك الأبصار، ص ٦٠-٦١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ص ٨٥-٨٦.

١٦٣. المن: يساوي ١١, ٢٥ كجم تقريبا. انظر هينتس فالتر، المكايل والموازين، ص ٥٤.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

- إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨.
- آشور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق، ١٩٨٥.
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٩٦٤.
- حسن صالح شهاب، المراكب العربية تاريخها وأنواعها، الكويت، ١٩٨٧.
- حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٨.
- درويش النخيل، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤.
- الساداتى، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، ١٩٥٧.
- السيد أبى ظفر الندوى، أسطول كجرات، ثقافة الهند، مجلد ١٦، ١٩٦٥.
- شوقى عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ - ٦٦١-١٤٩٨م)، عالم المعرفة، العدد ١٥١، الكويت، ١٩٩٠.
- عبد المنعم النمر، تاريخ الاسلام في الهند، القاهرة، ١٩٥٩.
- عصام عبد الرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٠.
- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، الإمارات، ٢٠٠١.
- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، القاهرة، ١٩٥٣.
- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، ٢٠٠٤.
- محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، ١٩٨٤.
- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، ج٣، القاهرة، ١٩٩٢.
- محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق (٧٢١-٨١٦هـ / ١٣٢١-١٤١٤م)، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية ١٨، الكويت، ١٩٩٨.
- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، القاهرة، ١٩٩١.
- هنرى بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة عطية القوصى، القاهرة، ١٩٩٦.
- هيتس فالتر، المكاييل والموازين وما يعادلها في النظام المترى، ترجمة كامل العسيلي، الأردن، ١٩٧٠.

المصادر الفارسية

- برنى، تاريخى فيروز شاهى، كلكتا، ١٨٦٢.
- شمسى سراج عفيف، تاريخى فيروز شاهى، كلكتا، ١٨٩٠.
- فرشته، تاريخ فرشته، بومباى، ١٩٠٠.
- فيروزشاه، فتوحاتى فيروز شاهى، عليكره، د.ت.
- مجهول، سيرتى فيروز شاهى، دلهى، ١٩٣٧.

المراجع الأوربية

- Antony, W., Howard, C., « The Tughluqs: Master Builders of the Delhi Sultanate », *Muqarnas* 1, 1983, p. 125-126.
- Banerjee, A., « A Note on the Succession of Firuz Shah », *Indian Culture* 2, 1935-1936, p. 47-52.
- Banerjee, A., *A History of Fairuz Shah Tughluq*, Delhi, 1967.
- Banerji, S., « Ghiyasuddin Tughluq Shah as Seen in his Monuments and Coins », *Journal of the United Provinces Historical Society* 15, 1942, p. 62-66.
- Basu, K., « The House of Tughlaq (From the Tarikh-i-Mubarakshahi.) », *Journal of Asiatic Society of Bengal* 26, 1930.
- , « Firuz Shah Tughluq as a Ruler », *Indian Historical Quarterly* 17, 1941, p. 1-33.
- Chaghatai, M., « Muhamed bin Tughluq Shah », *Poona Orientalist* 9, 1944, p. 58-61.
- Habib, I., « The Peasant in Indian History », *Social Scientist* 11, 1983, p. 21-64.
- Haig, W., « Five Questions in the History of the Tughluq Dynasty of Delhi », *Journal of Royal Asiatic Society*, 1922, p. 365-372.
- Hussain, M., « The Social Life and Institutions with Special Reference to Hindus in the Days of Muhammad Bin Tughluq », *Proceeding 10th Indian History Congress*, 1947.
- Imamuddin, S., « The Maritime Trade of Sind, Gujarat and Malbar Under the Sultans of Delhi », *Hamdard Islamicus* VII, 1984, p. 85-111.
- Jackson, P., « The Mongols and the Delhi Sultanate in the Reign of Mohamed Tughluq », *Central Asiatic Journal* XIX, 1975, p. 118-157.
- Jackson, P., *The Delhi Sultanate, A Political and Military History*, Cambridge, 1999.
- Jauhri, R., « Ghyathu'd-din Tughluq – his Original Name and Descent », in *Kumwar Muhammad Ashraf Commemoration Volume*, Wiesbaden, 1966.
- Jauhri, C., « Learning and Literature During the Reign of Firoz Shah Tughluq (1351-1388) », *Islamic Culture*, XLI, 1967, p. 241-246.
- Lal, S., *History of the Khaljis, A.D. 1290-1320*, Allahabad, 1950.
- Lane Pool, S., *Mediaeval India Under Mohammedan Rule (712-1764 A.D.)*, London, 1952.
- Mahdi, H., *The Rise and Fall of Muhamed ibn Tughluq*, London, 1938.
- , *Tughluq Dynasty*, Calcutta, 1963.
- Majumdar, C., *The Delhi Sultanate*, Bombay, 1960.
- , *An Advanced History of India*, London, 1963.
- Prasad, I., « The Rise and Growth of Khilji Imperialism », *Journal of Indian History* 1, 1921-1922, p. 147-148.
- , *History of Mediaeval India*, Alahabad, 1952.
- Roy, N., « The Transfer of Capital from Delhi to Daulatabad », *Journal of Indian History* 20, 1941, p. 109-122.
- Siddiqui, I., « Water Works and Irrigation System in India During Pre-Mughal Period », *Journal of The Economic and Social History of the Orient* 29, 1986, p. 52-77.
- Syed, M., *History of the Delhi Sultanate*, New Delhi, 2005.



شكل ٣. خريطة لأهم مدن الهند خلال عصر آل تغلق.